

الوافي في الوفيات

عبد ا بن حبيب زكي الدين الكاتب الأستاذ المجود أو حد عصره في الخط ببغداد . كان شيخ رباط . عاش ستاً وسبعين سنة . وتوفي سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة .

الذبياني عبد ا بن الحجاج من بني ذبيان شاعرٌ مكثرٌ فاتكٌ شجاعٌ . كان من أصحاب عبد ا بن الزبير وشيعته فلما قتل عبد ا احتال ابن الحجاج حتى دخل على عبد الملك وهو يطعم الناس فدخل وجلس حجرةً فقال له : ما لك يا هذا لا تأكل ؟ فقال : لا أستحل أن آكل حتى تأذن لي ! .

قال : إني قد أذنت للناس جميعاً ! .

قال : لم أعلم ! .

أفأكل بأمرك ؟ قال : كل ! .

وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعالة فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه وجلس خواصه بين يديه وتفرق الناس وجاء عبد ا بن الحجاج فوقف بين يديه ثم استأذن في الإنشاد فأذن له فأنشد : من الكامل .

أبلغ أمير المؤمنين بأني ... مما لقيت من الحوادث موجع .

منع القرار فجئت نحوك هارباً ... جيشٌ يجر ومقنبٌ يتلمع .

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك لولا أنك مريبٌ ؟ فقال : .

إن البلاد علي وهي عريضةٌ ... وعرت مذاهبها وسد المطلع .

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك وما ا بظلامٍ للعبيد ! .

فقال : .

كنا تنحلنا البصائر مرةً ... وإليك إن عمي البصائر نرجع .

إن الذي يعصيك منا بعدها ... من دينه وحياته متودع .

آني رضاك ولا أعود لمثلها ... وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع .

أعطي نصيحتي الخليفة راجعاً ... وخزامة الأنف المقود فأتبع .

فقال عبد الملك : هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك فإذا عرفنا الحوبة قبلنا

التوبة فقال : .

ولقد وطئت بني سعيدٍ وطأةً ... وابن الزبير فعرشه متضعع .

فقال عبد الملك : الحمد ا رب العالمين . فقال : .

ما زلت تضرب منكباً عن منكبٍ ... تعلو ويسفل غيركم ما يرفع .

ووطنتهم في الحرب حتى أصبحوا ... حدثاً يكوس وغابراً يتفجع .
فحوى خلافتهم ولم يظلم بها ... القرم قرم بني قضي الأقرع .
لا يستوي خاوي نجومٍ أفلٍ ... والبدر منبلجاً إذا ما يطلع .
وضعت أمية واسطين لقومهم ... ووضعت وسطهم فنعم الموضع .
بيتُ أبو العاصي بناه بربوةٍ ... عالي المشارف عزه ما يدفع .
فقال عبد الملك : إن توريتك عن نفسك ترييني فأني الفسقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال : .
فانعش أصيبتني الألاء كأنهم ... جلُّ تدرج بالشربة جوع .
فقال عبد الملك : لا نعشهم اِ و أجاعهم ! .
فقال : .
مالٌ لهم مما يرض جمعته ... يوم القلب فحيز عنهم أجمع .
فقال له عبد الملك : مالٌ أخذته من غير حله وأنفقتة في غير حق وأرصدت به لمشاقة أولياء اِ . فقال : .
أدنو لترحمني وتجبر فاقتي ... وأراك تدفعني فأين المدفع .
فتبسم عبد الملك وقال : إلى النار ! .
فمن أنت ؟ قال : أنا عبد اِ بن الحجاج الذباني الثعلبي وقد دخلت دارك وأكلت طعامك وأنشدتك فإن قتلتنني بعد ذلك فأنت بما عليك في هذا عارف وعاد إلى إنشاده فقال : .
ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم ... عني فألبسني فثوبك أوسع .
فشد عبد الملك الرداء الذي كان على كتفه وقال : إلبسه لا لبست ! .
فالتحف به . فقال له عبد الملك : أولى لك ! .
واِ لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم إليك بعض هؤلاء فيقتلك فأبى اِ فلا تجاورني في بلدٍ وانصرف آمناً فأقم حيث شئت .

السهمي